

(قراءة نقدية في كتاب " معجم نحوي لغوي " لمؤلفه لطفي الدبس)
ضمن محور (المعاجم المتخصصة)

إعداد : أ. د. حمزة مسعود الطوير
أستاذ الدراسات العليا بجامعة الغرب الليبي ومدير إدارة النشر والمطبوعات والمكتبة بأكاديمية
الدراسات العليا - طرابلس

مؤتمر ابن جني الدولي الثالث للغة العربية - كلية الآداب - جامعة طبرق (08-10 / يناير /
2024م)

ملخص البحث

دفعت مزاولة مهنة التعليم الدبس، ليؤسس معجمه الذي وسمه " معجم نحوي لغوي " وفق منهج فريد اختطه لنفسه، وافق فيه أصحاب الصنعة المعجمية في بعض الجوانب وتقرّد في غيرها، حيث شكّلت مادة هذا الكتاب خليطاً من القواعد النحوية الإعرابية، وجزءاً من المعاني الدلالية للألفاظ، إضافة إلى شذرات من مختارات أدبية وقع عليها استحسان الباحث فأوردها كمُلحٍ لغوية، وأردفها بألغاز وأحاجٍ نحوية ، فجاء الكتاب مزيجاً من دروس اللغة والأدب، بعيداً عن المعتاد في تأليف المعاجم المتخصصة؛ ليثبت تفرّد الدبس في صناعة ما أسماه بالمعجم. وقد وقع المؤلف في كثير من المغالطات والأخطاء، فأردت في هذه الدراسة أن أبين شيئاً منها في بحثين، خصّصت الأول للحديث عن بعض المعاجم العصرية ومناهج مؤلفيها ليبدو الفرق واضحاً بينها وبين معجم الدبس، إذ بضدها تتميّز الأشياء. وفي المبحث الثاني أوردت إشارات وشواهد وجيزة لبعض ما خالف فيه الدبس منهج المعجميين. وتوصل الباحث إلى نتيجة وتوصيات أثبتتها في محلّها. والله من وراء القصد.

كلمات مفتاحية :

هناك بعض الكلمات درج الباحث على توظيفها مثل: المعاجم - الموسوعات - الدلالة -

تقديم :

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبيه المختار، وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار، أما بعد:

فمن بين الذين قدموا محاولات معجمية متخصصة مختصرة على الطريقة العصرية؛ يراد منها تيسير فهم اللغة وعلومها: أستاذ العربية وآدابها بالمملكة الأردنية " لطفى عثمان الدبس" حيث تبخر في الأسس الراسخة للعربية وقواعدها؛ ليقم عليها كتابه الموسوم " معجم نحوي لغوي" فخصص جزءاً منه للحديث عن حروف المعاني وما تنطوي عليه من دلالات، ثم تحدث عن إعراب الجمل ، وتناول جملة من المفردات التي تختص بنمط معين في المعنى أو الإعراب ، وختم الكتاب بمختارات تخيرها ليشرح معانيها

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان منهج التصنيف في الموسوعات والمعاجم المتخصصة، وطرق إيراد واستيضاح المفاهيم العلمية والمصطلحات المتعلقة بفروع العلوم والمعارف.

كما تطمح إلى بيان القيمة العلمية لهذا المعجم واستدراك أوجه القصور فيه، من خلال تتبع مباحثه والتأمل فيما ورد فيه من مادة نحوية ودلالات لغوية

إشكالية البحث: لعل السؤال الذي يطرح نفسه ليمثل أهم إشكاليات الدراسة هو: هل سار الدبس على منهج المعجميين القدامى والمعاصرين في تنسيق معجمه؟ وإلى أي مدى كان موفقاً في بيان أوجه الدلالة فيما أورده من الألفاظ، واستحضار ما يتأسس على وجودها من معان محققة من خلال السياق الواردة فيه. وما الدافع وراء هذا الخلط في المادة العلمية للكتاب؟.

أهمية البحث : تكمن أهمية البحث في: الوقوف على منهج المعاصرين في التأليف في المجال المعجمي، واسهاماتهم في بيان دلالة الألفاظ، إذ تعد الدلالة لونا من ألوان الإعجاز اللغوي المبهر للناطقين وغير الناطقين بالعربية.

المنهج المتبع: انتهجت المنهج الوصفي الذي يعنى بسرد المعلومة وسوقها في طرح رتيب وفق ما تمليه مناهج الكتابة الأكاديمية، وتفرضه مطالب الدراسة، ثم المنهج التحليلي الذي يتيح سبر أغوارها المعلومة واستكناه صدفاتها وما تحويه من جزئيات يُتَوَصَّل إليها بالتدقيق والتعمق، في حدود المساحة الكمية المحددة التي تدفع الباحث لرسم معالم دراسته في مبحثين: الأول في (ذكر شواهد من المعاجم المتخصصة، ومناهج المؤلفين فيها) والثاني يتناول (قراءة نقدية في المعجم موضوع الدراسة)

المبحث الأول (المعاجم المتخصصة : الأغراض والمناهج)

دعت سعة المعارف وتنوع العلوم إلى تولّد جملة من المعاجم المتخصصة في فرع أو لون من ألوان تلك المعارف، وهذه المعاجم المتخصصة غالباً ما تختص في مجملها بالمصطلحات ومعانيها، وربما قدمت تعريفاً للمفهوم بحسب المتاح من المعنى والمساحة.

وفي هذا المبحث نحاول الوقوف على عينات من هذه المعاجم التي قصد مؤلفوها إلى جعلها مرجعاً أساساً يعوّل عليه الباحث ويستأنس بما فيه من مادة علمية لا تتعدى مجال تخصص المعجم، وبما أن كتاب الله هو أساس العلوم ومصدر المعارف فإنني سأبدي نبذة مختصرة عن بعض المعاجم التي حاول مؤلفوها توظيف المفردة القرآنية في صناعة موسوعاتهم، فمن المعاجم المتخصصة التي عني أصحابها بتصنيفها لخدمة هذا الغرض:

"المعجم المفهرس لألفاظ القرآن" لمؤلفه محمد فؤاد عبد الباقي، حيث استدرّك فيه بعض القصور على المعجم المسمى (نجوم الفرقان في أطراف القرآن) لفلوجل - مستشرق ألماني - وحاول أن يعالج ما وقع فيه فلوجل من خلط عند رد بعض الألفاظ إلى أصولها اللغوية، كما عمل على تصحيح ما ورد في نجوم الفرقان من أخطاء في ترقيم الآيات وفق المصحف الشريف، ورتب معجمه وفق حروف الهجاء، فجاءت مادته في تسلسل ترتيب متناغماً مع ترتيب حروف الكلمة؛ الأول فالثاني فالثالث، ولعله كان متأثراً في هذا النسق بمنهج الزمخشري في كتابه الأساس الذي ابتدأه بالهمزة فبدأ بمادة (أ ب ب) و هكذا إلى أن ختمه بالياء، بمادة (ي و م) أما فيما يخص المادة نفسها فقد رتبها وفق اشتقاقاتها الجذرية مبتدأ بالفعل المجرد المبني للمعلوم، الماضي فالمضارع فالأمر، ثم يأتي بعده المبني للمجهول، الماضي والمضارع، ثم تناول المزيد بالتضعيف أولاً، ثم المزيد بحرف وبحرفين **وهكذا إلى بقية المشتقات...** وفي كل ذلك اتبع منهج ترتيب المواد بحسب الأول، فالموالي له، ثم الذي يليه⁽¹⁾.

ومما يؤخذ على هذا المعجم أن مؤلفه رغم استقراغ جهده ووسعه لم يتمكن من الإحاطة والشمول بكل الألفاظ القرآنية الداخلة تحت عنوان الكتاب، وفاته ذكر العديد منها سهواً أو نسياناً،

(1) المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن الكريم - د. عبد الرحمن الحجيلي - موقع الإسلام - <http://www.al-islam.com>

ومن المآخذ عليه أيضاً أنه جانب الصواب في تأصيل الكلمة فوضع بعض الكلمات في غير موطنها الصحيح ؛ ففي قوله تعالى ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾⁽¹⁾ ذكر لفظ " التراقي " في مادة " ر ق ي " بدلاً عن محلها الصحيح " ر ق و " الذي أشار إليه في تاج العروس بقوله (فَعْلُوَّةٌ بِالْفَتْحِ لِقَوْلِهِمْ تَرْقِيئُهُ تَرْقَاةً أَي : أَصْبَتْ تَرْقُوْتُهُ نَقْلُهُ الْجَوْهَرِيُّ عَنْ ابْنِ السَّكَيْتِ وَقَدْ أَعَادَ الْمُصَنِّفُ التَّرْقُوَّةَ أَيْضاً فِي الْمُعْتَلِّ بِالْوَاوِ أَصَالَةً)⁽²⁾ وقال السمين الحلبي (التَّرَاقِي جمع تَرْقُوَّةٌ، أصلُها تَرَاقَوْ قُلِبَتْ وَأُوْهَا يَاءٌ لَانْكَسَارِ مَا قَبْلَهَا)⁽³⁾

ومثله: معجم " الأدوات والضمائر في القرآن الكريم " لإسماعيل عمايره، وعبد الحميد السيد، وقد حاولا تقادي ما وقع في " المعجم المفهرس لألفاظ القرآن " من قصور، فذكرا في مقدمته أنه تنمة لمعجم محمد فؤاد عبد الباقي.⁽⁴⁾

ومثله: " معجم حروف المعاني في القرآن الكريم " لمؤلفه محمد حسن حيث صرح بأن كتابه ذو فائدة جلية ويحوي إسهامات متعددة وإضافات إلى جهود السابقين في وضع الفهارس الشاملة للقرآن الكريم.⁽⁵⁾

ومن المعاجم المتخصصة التي تفهرس ألفاظ النصوص هجائياً وتوظف المصطلحات في جميع مواضع استخدامها أيضاً: "معجم ألفاظ القرآن الكريم" وهو من تأليف لجنة من كبار علماء مجمع اللغة العربية بالقاهرة، حيث تم إخراج الجزء الأول منه عام 1953 م، والثاني عام 1956 م، ثم أخرج بقية أجزائه " أمين الخولي، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار" فجاءت مادته المعجمية موزعة في ستة أجزاء⁽⁶⁾.

وقد عمل مؤلفوه على الجمع بين معاجم المعاني والمعاجم المفهرسة بالإشارة إلى عدد مرات ورود اللفظ في القرآن الكريم، وذكر رقم الآية واسم السورة للدلالة على مواضع الآيات في سورها،

(1) سورة القيامة- الآية 26

(2) تاج العروس من جواهر القاموس- محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الرّبيدي -: موقع الوراق -

<http://www.alwarraq.com> - باب ترنق - 1 / 6226

(3) (الدر المصون - السمين الحلبي)

(4) معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم - إسماعيل عمايره، وعبد الحميد السيد -المقدمة - ص 10

(5) (ينظر معجم حروف المعاني المقدمة 1 / ح. صدرت طبعته الأولى عام 1407 هـ . نشرته مؤسسة

الرسالة ببيروت - في ثلاثة مجلدات

(6) ينظر المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن الكريم-الدكتور عبد الرحمن بن محمد الحجيلي- موقع الإسلام-

<http://www.al-islam.com> - ص 30)

إضافة إلى الاهتمام بدلالة الألفاظ لتوضيح المعاني وتحريرها اعتماداً على السياق اللغوي، غير أنه لم يلتزم بالرأي الأرجح في تقرير المعنى عند أصحاب الصنعة التفسيرية⁽¹⁾.

من خلال ما سبق يمكن القول إن أهم الأعمال المعجمية التي تناولت ألفاظ القرآن الكريم وموضوعاته تندرج تحت معاجم الغريب، والمعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن، والمعاجم المفهرسة للأدوات والضمائر، والمعاجم المفهرسة للقراءات، كمعجم القراءات القرآنية الذي يعنى باستظهار الأثر الدلالي للقراءة، والمعاجم المفهرسة لموضوعات وأعلام القرآن وغيرها⁽²⁾.

ومن المعاجم المتخصصة في غير علوم القرآن:

"معجم العلوم الإنسانية" لمجموعة من أساتذة الجامعات الليبية، وهو كتاب يجمع بين مفاهيم ومصطلحات تفسيرية واجتماعية وأنثروبولوجية باللغتين العربية والإنجليزية؛ ليقدم للباحثين مفاهيم ومصطلحات وشخصيات فلسفية واجتماعية وجغرافية، لرفع القدرة الاستيعابية وتعميق الوعي التفسيري لدى الباحث في العلوم الإنسانية.

حاول مؤلفو هذا الكتاب الجمع بين طريقة المعاجم والقواميس وطريقة الموسوعات العلمية في سوق مادة المعجم ومقابلتها بالمصطلح الانجليزي على اعتبار الإنجليزية لغة العلم والتكنولوجيا والتطور العصري، فذكروا في الفصلين الأول والثاني منه ما يزيد عن ألف مصطلح وموضوع فلسفي وجغرافي واجتماعي، وتناولوا في الفصل الثالث مشاهير فلاسفة الغرب، وأهم النظريات الفلسفية، في حين خصصوا الفصل الرابع لمفردات فلسفية تفسيرية وإنسانية بلغت ما يقارب أربعة آلاف مفردة، في حين تناول الفصل الخامس زهاء ستمائة تعريف ومصطلح في العلوم المذكورة.

ومما يؤخذ على هذا المعجم أن مادته لم ترتب ترتيباً منطقياً وفق التسلسل الزمني للشخصيات والأحداث. وكان بإمكان المؤلفين تناول الفلاسفة بحسب أقدمية عصورهم؛ لأن اللاحق يؤسس على ما بلغه السابق.

ولقد كان بإمكان مؤلفيه تناول الفلاسفة بحسب اختصاصاتهم وانتماءاتهم النظرية ومدارسهم الفلسفية: كالعقلانية وديكارت والمثالية وأفلاطون وهكذا⁽³⁾.

(1) ينظر المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن الكريم - الحجيلي - مرجع سابق - ص 30

(2) المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته - الدكتور أحمد مختار - المكتبة الشاملة - موقع الإسلام - <http://www.al-islam.com> - ص 4

(3) ينظر معجم العلوم الإنسانية التعليمي: مفاهيم ومصطلحات تفسيرية واجتماعية وأنثروبولوجية - عبد القادر المحيشي وآخرون - منشورات الأكاديمية طرابلس - ط1 - 203م - المقدمة

وهناك " المعجم الفلسفي " لمؤلفه الدكتور عبد المنعم الحنفي، حيث ذكر أن هذا المعجم مكمل لكتاب الموسوعة الفلسفية التي قدّمتها من خلال دار ابن خلدون، ويبيّن أن المكتبة العربية في مسيس الحاجة لمثل هذا المعجم والموسوعة المذكورة؛ لكونهما يفوقان المعجم الفلسفي لمراد وهبة، فقال منتصراً لمصنفاته ومبيّناً عوار معجم وهبة: ((هو ضئيل الحجم، ومصطلحاته عامة أكثر منها مصطلحات تخص الفلسفة، وشروحها مبتسرة، وتختلط فيها مصطلحات الفلسفة بمصطلحات علم النفس))⁽¹⁾ أي إنها تقتصر إلى الدقة في الترتيب والاختيار، ويخل بها الإيجاز الشديد.

وقد تميز معجم حنفي بأن يثبت مصادره ومراجعته التي استقى منها مادته أو استأنس بها في التأليف المعجمي، مما يميّزه عن المعجم الفلسفي لمراد وهبة والمعجم الفلسفي لجميل صليبا، الذي يفوق الاثنين حجماً فهو في جزأين، وباللغات العربية و الإنجليزية والفرنسية واللاتينية، وقد اعتمد في مادته على معاجم " لالاند وفوكيه، والتهانوي وأبي البقاء والجرجاني، لكنه لا يذكر هذه المصادر ولا يحيل عليها مما أفقده الموضوعية والأمانة العلمية، فضلاً عما به من الأخطاء⁽²⁾.

ومما يميّز معجم حنفي أن مؤلفه حاول أن يتلافى أخطاء السابقين، فقَدّم معجمه للقراء باللغات العربية، والإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، واللاتينية، ونسب كل مصطلح لصاحبه وبشروحه، واستعان بكل المصادر المتاحة بلغاتها، فوظّف كمّاً هائلاً من المصادر المعتمدة في هذا المجال، وفق الهجاء فبدأ بحرف الألف، مادة " إثبات ... أثر ... إثم " وهكذا إلى أن اختتمه بحرف الياء مادة " يقين ، يقينيات "

ومن المعاجم الفلسفية " المعجم الفلسفي " لمصطفى حبيبة الذي يرى أن تعجيم المعاجم المتخصصة أمر ضروري، وأن دوافع التأليف في هذا العصر ملحة لوضع معجم فلسفي موسوعي (تتحد وظيفته بحاجة الدارسين إليه، وبقدرة الفلاسفة على إحيائه جيلاً بعد جيل، شيمة أي عمل لا يستمر إلا بالعمل عليه أي بالإضافة والتصويب والتحديث مع كل طبعة)⁽³⁾ ابتداءً حبيبة معجمه بحرف الألف لكنه لم يراع قواعد اللغة في عدم الاعتداد بأب وابن وأل التعريف عند الترتيب الهجائي فاستهلّه بالحديث عن ابن رشدت 595هـ ، معرّفاً به وبمشرّعه الفلسفي، فتوسع في الاستشهاد على ما يقول، ووظف الآيات القرآنية الداعمة لما يذهب إليه ويرتضيه، كما في الحديث عن مادة (ألد - وإلحاد) صفحة 87 من الكتاب وعند الحديث عن

(1) المعجم الفلسفي - عبد المنعم الحنفي - دار ابن زيدون - ط1 - 1992م المقدمة

(2) ينظر مقدمة المصدر نفسه

(3) المعجم الفلسفي - د. مصطفى حبيبة - دار أسامة للنشر - عمان الأردن - ط1 - 209م - المقدمة - ص4

موقف الإسلام من العلمانية صفحة 355 ، وقد يتعرض بشيء من التحليل الأدبي لشرح بعض الأبيات الشعرية التي يستشهد بها أو يسوقها في مقام معنى المصطلح، مثلما فعل عند الحديث عن مفهوم النفس وأقسامها عند ابن سينا، حيث ذكر في صفحة 22 من الكتاب مصدريه النفس، وعلاقتها بالجسد ، ثم مآلها بعد مفارقة الجسد من خلال قصيدة ابن سينا العينية. وقد جاء هذا المعجم في زهاء الثماني مائة صفحة في ثوب قشيب مادة مفيدة لطلبة العلم المتخصصين.

وفي المجال الاجتماعي صدرت العديد من المعاجم ، منها على سبيل المثال: " معجم علم الاجتماع " لعبد الهادي الجوهري، وهو عبارة عن (ترجمة لأغلب ما نشر في معجم علم الاجتماع الذي حرره ميشيل دونكن، واشترك في إعداده لفيف من علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا... بالإضافة إلى التعليق على بعض لمفاهيم، وإضافة بعض المصطلحات)⁽¹⁾ رتب الجوهري مادة معجمه وفق حروف الهجاء، غير أنه خلط بين المصطلحات والأعلام، وكان بإمكانه أن يصنف كلاً على حده؛ ليكون المعجم أيسر في البحث والفهم.

وفي مجال علم النفس حرر العلماء والمهتمون كثيراً من المعاجم التي حوت مفاهيم ومصطلحات تتعلق بالنفس وقضاياها، مثل " معجم مصطلحات الحرب النفسية " لمؤلفيه: إبراهيم أبو عرقوب وسليمان الطعاني، حيث مهّد له بعبارات تبين أن الحرب النفسية لا تقتصر على فئة من البشر ولا تقتصر على بيئة ولا زمن بعينه، ولا حال سلم ولا حرب بل هي وسيلة ممنهجة يراد بها السيطرة على عقل الإنسان ونفسيته وإرادته؛ لتدعيم الصديق أو التفويض بالخصم والتأثير في الآراء والاتجاهات؛ خدمة لسياسة الدولة وأهدافها)⁽²⁾

يعدّ هذا المعجم محاولة لتعريف القارئ بمصطلحات الحرب النفسية، وأهدافها، وأشكالها، ووسائل استخدامها في الحرب والسلم، وقد رتباه ترتيباً هجائياً بالعربية والانجليزية حسب الاشتقاق الأصلي للمصطلح، وهو مقسم على قسمين في مجلد واحد: الأول عربي إنجليزي من الجهة اليمنى، والثاني إنجليزي عربي من الجهة اليسرى، وقد فصل بين القسمين ملحق مادته عربية صرفة تتعلق بالحرب النفسية.

وفي مجال السياسة تتنوع وتتعدد المعاجم التي تعجّ بمصطلحات السياسة، نذكر منها: " المعجم السياسي " لوضاح زيدون، حيث ذكر أن علماء السياسة والباحثين في غمارها دفعتهم الحاجة لتعريف وتحديد فروع علم السياسة وإيضاح مصطلحاته، وأكد أنهم قد أعاقهم تطور واستمرار ظهور الحركات والمذاهب السياسية عن استيعابها والالمام بها وبأهدافها ونزعاتها

(1) ينظر مقدمة معجم علم الاجتماع - د. عبد الهادي الجوهري- المكتب الجامعي الحديث- الإسكندرية - 1998م
(2) معجم مصطلحات الحرب النفسية - د. إبراهيم أبو عرقوب ، و النقيب سليمان الطعاني- دار مجدلاوي- عمان - الأردن- ط1 -

جميعها، فاكتفوا بالكتابة عن الحركات والاتجاهات القديمة، وحتى من كتب في الحديثة منها كان يكتب على استحياء وباختصار شديد، مما دعا إلى تأليف معجم شامل للموضوعات والنظريات وكافة المصطلحات المتعلقة بالحركات السياسية قديماً وحديثاً⁽¹⁾.

ابتدأ زيدون معجمه بمادة (ائتلاف) في حرف الألف، واختتمه بحرف الياء مادة (يونسيف) وقد أتى على جلّ المصطلحات السياسية المستخدمة في المحافل الدولية والرسمية التي تخص السياسات المحلية والإقليمية، والكتاب في مجمله يعدّ مجمله يعدّ فائدة في اختصاصه. وفي مجال الإعلام هناك العديد من المعاجم التي تناولت مصطلحات الإعلام كلون من ألوان العلم، بل من أهمها، فمن أمثلة هذه المعاجم:

" المعجم الإعلامي " لصاحبه محمد جمال الفار، إذ أفرد فيه مباحثات (لجميع المفردات والألفاظ المختصة بالإعلام، شارحاً معناها ودلالاتها، ومشيراً في كثير من الأحيان إلى منشئها إذا كانت بحاجة إلى تفسير لمثل المعنى المطروح)⁽²⁾

صرح الفار في مقدمة المعجم أنه اعتمد في ترتيب مادته على تسلسل حروف الهجاء، فبدأ بحرف الألف، لكن المتأمل في المعجم يلحظ أنه أهمل كثيراً من المصطلحات الإعلامية، فمثلاً بدأ بمادة (اتجاه) ونسي أو تناسى أبان وأبدى وأبرز وغيرها من المصطلحات الإعلامية كما يؤخذ على الفار أنه حشى معجمه بالمصطلحات السياسية حتى صار أقرب ما يكون للمعاجم السياسية، وربما عاد ذلك للارتباط الوثيق بين السياسة والإعلام.

ومن المعاجم المتخصصة في المجال الجغرافي وديموغرافيا السكان نذكر المعجم الشهير: " معجم سكان ليبيا " لمؤلفه د. خليفة التليسي، حيث اعتمد في جميع مادته على كتاب سكان ليبيا المترجم من الإيطالية إلى العربية.

صدر التليسي معجمه بقوله تعالى ﴿ وجعلناكم شعوباً... أتقاكم ﴾⁽³⁾ وذكر في مقدمته أنه استخدم المنهج المعجمي الموسوعي (وقد أدى استخدام هذا المنهج إلى نتائج تختلف تماماً عن النتائج التي وقع تبينها في المصدر الأصلي - سكان ليبيا - الذي قام على التقسيم الجغرافي والطبقي والعنقي، والبحث عن مراكز القوة والفروق في الأوضاع الاجتماعية، فضلاً عن الاجتهادات الشخصية والأحكام المسبقة)⁽⁴⁾

ترجم التليسي لجلّ القبائل والبيوتات والعائلات القاطنة بليبيا مستمداً عمق الترجمة من الأصول الواسعة والجزور الراسخة للهجرات العربية لا سيما الهجرة الهلالية، فدعا إلى تصحيح المفاهيم والأفكار حولها، إذ ظلّ لها الباحثون بدءاً من ابن خلدون في تاريخه، وبين أن الهجرة

(1) للاستزادة ينظر مقدمة المعجم السياسي - د. وضاح زيدون - دار أسامة - دار المشرق الثقافي - عمان - الأردن - ط1 - 2006م

(2) المعجم الإعلامي - محمد جمال - دار أسامة للنشر - عمان الأردن - ط1 - 2006م ص 3

(3) سورة الحجرات : الآية ...

(4) معجم سكان ليبيا - خليفة التليسي - دار الريان - 1991م - ص9

الهلالية هي التي (خلعت الطابع العربي على المنطقة، وحقت ذلك الاندماج الذي لم يتحقق طوال العصور التي خضعت فيها لسيادات القرطاجيين واليونانيين والرومان والبيزنطيين، وقد كان الدين الإسلامي عاملاً حاسماً وهاماً في تحقيق هذا الانصهار والاندماج)⁽¹⁾ واعتذر التليسي عن السهو والتقصير بقوله (والقارئ الذي لا يجد اسم أسرته أو لا يدري كيف يرد أصوله إلى فرع أو إلى شجرة أو أرومة مدعو إلى أن يطرح عنه حساسيته، فليس عدم ذكره هنا هو إلغاء حقه في الوجود، وعليه أن يتذكر أنه عمل بشري محدود)⁽²⁾ والحق أن المؤلف رغم وصفه عمله بأنه لم تتوفر له أسباب العصمة عن الخطأ، ولا ما يبعده عن المآخذ والانتقادات فهو كتاب يعدّ من المراجع المهمة في تأصيل الأنساب وتجزير العشائر والقبائل والبيوت.

وفي مجال الاستشراق أنشأ بعض المتخصصين والمهتمين موسوعات ومعاجم ضمّنها المفاهيم والمصطلحات الاستشراقية، إضافة إلى التعريف بأشهر الأعلام ومدارسهم، من ذلك: "معجم افتراءات الغرب على الإسلام والرد عليها" تأليف أنور محمود زناتي، وهو معجم في نيف ومائتي صفحة، أورد فيه ما تحصّل لديه من شبهات علماء الغرب على الإسلام كما هو واضح من عنوانه، ورثبه وفق الأبجدية فساق أسماء أصحاب الشبهات مبتدئاً بأرينوس، وأنهاء بهورنستين، فكان يورد اسم العلم ثم يذكر شبهاته واتهاماته الموجهة نحو الإسلام، لكن الملاحظ على هذا المنهج أنه لا يخلو من تكرار الشبه والمطاعن؛ لأن المستشرقين يرددون شبهات بعضهم، ويتوافقون في الهوى والشطحات غير العلمية تجاه الإسلام.

تلك كانت نماذج مختصرة من المعاجم ذكرتها في مقام التدليل على استقلالية التصنيف المعجمي وفق استقلالية العلوم وفروع المعارف.

كما أن هناك موسوعات تضاهي المعاجم المتخصصة أو تُعدّ نوعاً منها، لها قيمتها من حيث إمداد القارئ بما يحتاجه من مادة معرفية بأسلوب يتوسط بين الإيجاز والتفصيل، منها مثلاً : " الموسوعة الاقتصادية " للدكتور راشد البراوي، رتّب مادتها كترتيب المعجميين على الألفباء، وصرح في مقدمته الوجيزة والهادفة أنه خص بها مجال الاقتصاد (لما للمسائل الاقتصادية على تنوعها وتعددتها وعمقها من أهمية في حياة المجتمع الحديث)⁽³⁾ حيث أضحي الاقتصاد اليوم عصب الحياة والمحرك الرئيس للملفات السياسية والاجتماعية، بل وسائر شؤون الحياة، فالناس اليوم بحاجة إلى هذه الموسوعات التي تبين المفاهيم الاقتصادية وتيسر على الدارسين الولوج

(1) معجم سكان ليبيا- مصدر سابق ص11

(2) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها

(3) ينظر مقدمة الموسوعة الاقتصادية- راشد البراوي- دار النهضة العربية- بيروت - ط1- 1971م

والبحث في مجالات الاقتصاد العصري وما يحويه من نوازل ومستجدات فرضتها طبيعة الحياة وتطورها.

ومثلها " الموسوعة الثقافية للوعي البيئي " لأستاذ فيزياء المعادن مصطفى كمال، وقد مهد لموسوعته بمقدمة قيّمة بيّن فيها أهمية التكنولوجيا في الحياة ومقدار التطور الرهيب والنمو الهائل في أساليبها وأدواتها، إذ تعدّ سلاحاً ذا حدّين، فبمقدار ما تقدّمه من سرعة إنجاز المشاريع وبلوغ الأهداف فهي لها آثار جانبية وأضرار متحققة تحيط بالمجتمع، وتعمل على تدميره بيولوجياً وصحياً، ومن ثم يجب نشر ثقافة الوعي في الوسط العلمي والاجتماعي وشرح بيان المفاهيم والمصطلحات البيئية من خلال تأليف وبسط الموسوعات العلمية أمام القراء للوقوف على مدى تأثير وفاعلية التطور التكنولوجي من سلبيات وإيجابيات على إدارة الموارد البيئية وهذا يتطلب سياسة واعية سليمة لمواكبة التقنيات العلمية المعاصرة في تطوير نظم المعلومات والنظم البيئية.(1)

ومن هذه الموسوعات " موسوعة علم السياسة " لمؤلفها د. مصطفى خشيم، وهي موسوعة في مصنف واحد متوسط الحجم، تضم ما يزيد عن مائة مصطلح في علوم السياسة، لم يقصرها على تحديد المفاهيم والمصطلحات، بل عمل على تعريف المفاهيم والتعرض للخلفية التاريخية والخصائص المميزة لها، مع ذكر أهمية المصطلحات التي انتقاها لتشكّل مادة الموسوعة، إيماناً منه أن (المفاهيم السياسية أصبحت تهم المتخصصين وغير المتخصصين على حد سواء)⁽²⁾ قصد المؤلف إلى تقديم المفيد للباحثين والمهتمين بالشأن السياسي بأسلوب يتوافق مع طبيعة العصر في السرعة والإيجاز، وبأسلوب يجعل المفاهيم أقل جدلية بين الباحثين. وباستقراء غير تام يؤخذ على هذه الموسوعة عدم التعرض لمصطلحات العلاقات الدولية باعتبارها فرعاً من السياسة الخارجية سيما عند معالجة النظريات السياسية والنظم المقارنة. كما أن الباحث رتب موسوعته بحسب حروف الهجاء، ولو قسم مادته وعرضها وفق فروع علم السياسة المتعارف عليها لتخلّص من الخلط وتداخل المفاهيم والمصطلحات. في نهاية هذا المبحث: أو أن أبين أني سقت نماذج قليلة من المعاجم المتخصصة والموسوعات بحسب ما توفر لدي وما سمحت به الباحة الزمنية لانجاز البحث، فلا يمكن استيفاء الكل. ويمكن من خلال ما سبق القول: إن المعاجم والموسوعات الحديثة جاءت بطريقة هي أقرب إلى النفع في تقديم المعلومة وعرضها في بابها ومادتها على سبيل الاختصاص، فهذه المعاجم المتخصصة والموسوعات هي مفتاح لكل باحث في فرع من فروع المعرفة .

(1) ينظر الموسوعة الثقافية للوعي البيئي - مصطفى كمال- إيتراك للنشر والتوزيع - القاهرة - ط1- 203م- ص5-8 بتصرف
(2) موسوعة علم السياسة -د. مصطفى خشيم- الدار الجماهيرية للنشر - ط1- 1425و.ر - المقدمة

المبحث الثاني (قراءة نقدية في معجم الدبس):

لعل من نافلة القول إن المعاجم الحديثة تعنى بالتخصص، وتتنحصر في إطار المادة العلمية المراد دراستها بحيث لا تتعداها إلى غيرها، فغالبا ما تأتي مختصرة، ومقتصرة على ما يراه المؤلف مفيداً في بابه.

ومن هذه المعاجم كتاب " معجم نحوي لغوي " وهو من تأليف لطفي عثمان الدبس، وُلد بدمشق سنة 1900م من أبوين تركيين، وتقلّ طالبا للعلم بين دمشق وفلسطين والأردن التي استقر بها بعد أن أتم تعليمه، وتبحّر في اللغة فحفظ شرح ابن عقيل وألفية ابن مالك، وغيرهما حتى صار من كبار أساتذة اللغة العربية وآدابها في المملكة الأردنية الهاشمية، بحسب ما وصفه طلابه وزملاؤه في مقدمة كتابه⁽¹⁾

وسأحاول أن أسوق في هذه المشاركة بعض ما لاحظته على كتاب الدبس في شكله العام ومادته العلمية، فباستقراء هذا المعجم نَعْنّ ملحوظات كثيرة يمكن أن أسرد منها ما يتعلق بالمنهجية أو بالهندسة الشكلية لمادة الكتاب، وما كان من خطأ في صميم مادة المعجم النحوية أو اللغوية.

فطلباً لعموم النفع في التصنيف لقد كان على الباحث أولاً أن يراعي جملة من الأهداف حين فكر في إعداد هذا المعجم، وتقديمه لجمهور القراء، فأهمّل الأهداف المرجو تحقيقها، وساق مادته بأسلوب يبدو واضحاً فيه التخبّط المنهجي؛ إذ لو قصره على فرع بعينه فجعله معجماً نحوياً أو معجماً للأخطاء الشائعة أو الجمل صعبة الإعراب أو أي مسمى من هذا المجموع الذي ساقه ولم يوفه حقه لكان أقرب إلى النفع وأجدر بالقبول، وهو مع ما فيه جهد بشري حاول مؤلفه إتقانه وفق جهوده وملكاته المعرفية، فإنه كأني عمل بشري لا بد أن يعتريه القصور.

فهذا المعجم صغير الحجم مختصر المادة اقتصر مؤلفه على جزء من القواعد النحوية، وشيء من المادة اللغوية أوردها تحت مسميات وعناوين متعددة تعدّ بمثابة المباحث أو المطالب، ومن ثمّ خالف منهج المعجميين في الإحاطة واستقصاء المادة العلمية، فكان أول عنوان منها: (حروف المعاني) حيث ذكر من هذه الحروف كمّاً سرده على الترتيب الهجائي في ما يربو عن الستين صفحة، ولقد ألجأ الاختصار إلى جملة من الأخطاء المنهجية، فمثلاً لم يبيّن في حال وجود علاقة ما بين مدخلين مختلفين يتفقان في المعنى والوظيفة، مثل: اسمي الإشارة: "أولاء" و"هؤلاء"، أو وجود تصاحب لفظي بين المدخلين مثل أصحاب الجنة - أصحاب النار...

(1) ينظر : معجم نحوي لغوي - لطفي الدبس - دار وائل ط1 - 24م - ص 5 وما بعدها

ثم تحت عنوان (فوائد) ذكر شيئاً مما يتعلق ببعض الألفاظ من الخصوصيات الإعرابية، ولم يطل فيها كثيراً، ولعله كان متأثراً بقاعة الدرس، فانعكس ذلك في مادة معجمه.

ثم في عنوان ثالث ذكر (إعراب الكلمات والجمل الصعبة) التي يرى أنها تحتاج إلى إيضاح وإزالة لبس في إعرابها، ولم يكن - في نظري - موفقاً في وصفها بالصعوبة، إذ هي ألفاظ لها أحكام خاصة، مثل " تعساً، وكيف ، وكما، واللهم " وما شاكلها من الألفاظ، ثم ذكر بعض الجمل مثل: " وأن تصوموا خير لكم " حيث أعرب أن المصدرية وفعلها في محل مبتدأ وخبره خيرٌ ، وهي كما ترى لا لبس ولا إشكال فيها.

ومثلها جملة " فأكثر ما تلقى الفقير مدها " وغيرها من الجمل التي ليست محل خلاف بين المدارس، وهي من السهولة بمكان، ولا ينبغي على تنوع إعرابها تنوع في المعنى الدلالي.

ثم ساق بعنوان (تنبيهات) بعض أحوال الحروف والحركات الإعرابية، كإعراب ياء المتكلم وكاف الخطاب، وهاء الغائب إذا وقعت مع الفعل، وهي أحوال يعرفها المبتدئ ولا يستفيد منها المنتهي، كقوله (تقدّر الحركات على الواو والياء للثقل، وتقدّر على الألف للتعذر؛ لأن الحركة يستحيل ظهورها على الألف، وأما على الواو والياء فيمكن ظهورها، ولكنها تكون ثقيلة فتقدّر)⁽¹⁾ ثم تحدّث في سطور وجيزة تحت عنوان (معاني النحو) عن معنى كلمة النحو، فذكر أن لها ستة معان، هي: القصد، والجهة، والمثل، والمقدار، والقسم، والبعض، ثم استشهد عليها بقول الداودي، ولم يبيّن لِمَ خالفه في عددها:

لنحو سبع معان قد أتت لغة جمعتها ضمن بيت مفرد كمالاً

قصد ومثل ومقدار وناحية نوع وبعض وحرف فاحفظ المثلاً⁽²⁾

ثم في عنوان يليها ذكر (الألفاظ النحوية) وهي ما يتتدرّ به النحويون من مُلح في الإعراب، فساق منها ستة عشر لغزاً كالبيت الشهير

إِنَّ هَذَا الْمَلِيحَةَ الْحَسَنَاءَ وَأَيُّ مِنْ أَضْمَرَتْ لَخْلٍ وَفَاءً⁽³⁾

إذ الهمزة فعل أمر من الفعل وَأَى بمعنى وعد، والنون للتوكيد، والأصل أَيْنٌ فحذفت ياء المخاطبة لالتقاء الساكنين وبقيت نون التوكيد. وليته نَزّه الكتاب عن هذه المداعبات النحوية التي لا تمتّ للمعاجم بصلة، أو أفردتها بالتصنيف، وجمعها من متون اللغة ليكون معجماً فيما ألغز فيه النحويون.

ثم ذكر تحت عنوان (فوائد اللغة) شيئاً من التنوع الدلالي وفروق المعاني بين الألفاظ المتقاربة، غير أنه كان يقتصر على أفراد معنى ما يسوق، فمثلاً ذكر الرقيق، وبيّن أنه يستعمل

(1) معجم نحوي لغوي ص 108

(2) المصدر نفسه ص 114

(3) المصدر نفسه، والصفحة ذاتها

على اشتقاق واحد مع المفرد والمثنى والجمع، ومع المذكر والمؤنث، لكنه لم قصر الرقيق على معنى واحد وهو العبودية، ولم يذكر أن للفظ معاني أخرى لا تتدرج تحت هذا الحكم⁽⁴⁾.

ثم في عنوان (الأخطاء اللغوية) ساق شيئاً مما شاع على الألسنة من الأخطاء، غير أنه لم يحالفه الصواب في كل ما ذهب إليه، حيث مثّل بأمثلة ابتدأها بقوله (يقول بعض الكتاب " أقلعت السفينة" ولا يجوز ذلك؛ لأن الفعل ليس للسفينة وإنما هو للملاح، يقال أفلح الملاح السفينة إذا رفع قلعها أي شراعها)⁽¹⁾ ولم يكن مصيباً فيما ذكر، فهذا أسلوب فصيح يجري مجرى المجاز وهو كثير في لغة العرب وأشعارها وفي القرآن الكريم أكثر من أن يحصى.

ثم تحدث تحت عنوان (معاني الأعلام) عن دلالات بعض الأسماء وما تحمله من معان فانتهج الاختصار في ذكر الأسماء وسرد دلالاتها، كقوله " سديف " (السديف شحم السنام وقطعه ، وسمي به سديف بن ميمون مولى بني العباس)⁽²⁾ وقد ذكر صاحب الجمهرة للسديف معنى آخر فقال (أسدف الليل يُسَدِفُ إسداًفاً، إذا أظلم، وأسدف الفجرُ، إذا أضاء، وهي لغة لهوازن دون سائر العرب؛ تقول هوازن: أسدِفوا لنا، أي أسرجوا لنا، وتصغير سَدَفٍ سُدَيْفٌ. وقد سمّت العرب سُدَيْفًا، وهو تصغير سَدَفٍ)⁽³⁾ ولا شك أن الإسراج أقرب لأن يسمى به من الشحم.

ثم في عنوان آخر هو (مختارت) تخيّر بعض الجمل التي لها علاقة بمواضيع أدبية أو مواقف طريفة ليشرح سبب قولها وما تحمله من إحياء رمزي دلالي أو بلاغي، فتحدث عن سبب قوله ﷺ (إن من البيان لسحرا)⁽⁴⁾ وتحدث عن جمرات العرب، ومنزلة شعر بشار، وما دار بين المأمون والحسن بن رجا، وتحدث عن فضل العلم ومعنى البلاغة ومفهوم الإيجاز في قفزات لا يمكن الحكم عليها ووصفها إلا بأنها من الذوق المزاجي عند الاستشهاد في الدرس المدرسي.

ثم في عنوان (المعاجم) تحدث عن بعض المعاجم مبينا سبب تسميتها وطريقة البحث فيها، ككتاب العين ، والجيم، والجمهرة، وليته تأثر بمنهجها، ثم إنه كان حقها أن يصدر بها معجمه إتماماً للفائدة، ولتكون مفتاحاً لما يسوق من مادة، وليس محلها الصفحات الأخيرة من الكتاب.

ثم تلاها بالحديث عن (الكنى) - هكذا العنوان - فذكر طرفاً منها مقرونة بمعانيها في الآباء والأبناء والأمهات والبنات، وفي الأذواء، في ثلاث صفحات من الكتاب⁽⁵⁾.

(4) المصدر نفسه ص 118

(1) معجم نحوي لغوي ص 124

(2) نفسه ص 156

(3) جمهرة اللغة - ابن دريد - المكتبة الشاملة - موقع الوراق - <http://www.alwarraq.com> - د س ل 1 / 343

(4) سنن أبي داود - سليمان بن الأشعث السجستاني - دار الكتاب العربي - بيروت - باب ما جاء في الشعر - حديث رقم

460 / 4 - 5011

(5) ص 193 - 196

وختم الكتاب بعنوان (الجملة المفعولية) ليبيّن مواطن إعراب الجملة بأنها في محل نصب المفعول به في ثلاثة أبواب. وبذا فيؤخذ على هذا الكتاب كونه لا يعد معجماً بالمعنى الدقيق، فهو عبارة عن مجموعة من الدروس اللغوية التي يبدو أن الدبس قام بشرحها لطلابه أثناء مسيرته التعليمية بالأردن، حيث عيّّن معلماً في مدرسة السلط ، ثم تابع خدماته في سلك التعليم مدرساً للغة العربية لمدة خمسة وأربعين عاماً في المدارس الحكومية والخاصة ، ويبدو من خلال جمعها ورصفها أنها لا تعدو كونها محاضرات أتحف بها مريديه في حلقات الدرس المدرسي، فحاول اتحافهم بحقائق تشفي ملاذات السؤال التقليدي، فجاء الكتاب مرقوماً بلفيف من هذه الدروس المتنوعة في مسالك اللغة.

ولقد درج أصحاب المعاجم على الاستشهاد بالمفردة أو الجملة القرآنية لبيان المعنى الدلالي للألفاظ، ويلاحظ أن الدبس من المستشهادين كثيراً بالنص القرآني، لكنه يؤخذ عليه في استشهاده عدم كتابة الآيات الكريمة وفق الرسم العثماني تبعا لخط المصحف وخلو الآيات من الضبط التام بالشكل، مما يحتم على الباحث العودة إلى المصحف الشريف في كل مرة يستشير فيها المعجم، وهو غالباً ما يقع في الخطأ والتحريف في نقل وكتابة الشاهد القرآني، كقوله مستشهداً على أن " حيث " تكون في محل جر بمن أو على (وأُملي لهم من حيث لا يعلمون) هكذا ساقها خطأ ودون ضبط ولا تمييز، والصواب ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ، وَأُملي لَهُمْ إِنَّ كَيِّدِي مَتِين ﴾⁽¹⁾ فجملة " من حيث " وردت في القرآن في سبعة مواضع ، ذكرت مرة واحد بلفظ " من حيث لا يعلمون" في سورة القلم ، ولم تقترن بأُملي في القرآن كله.

وهو في كل مواطن الاستشهاد بالقرآن يسوق الشواهد كأبي نص عري عن القداسة، ولم يميّزه بأقواس مزهرة تخصصه عن غيره من نصوص التراث، بل كان يسوقه كسائر الكلام المقتبس بين ظفرين، بل وربما خلطه بنص من التراث اللغوي من غير الوحي، ولم يقدّم له بما يفيد كونه نصاً قرآنياً، فيلبس بذلك على القارئ ويختلط الأمر عنده، فمثلاً عند الحديث عن " ثم " يقول: ((بالفتح اسم يشار به إلى المكان البعيد نحو وأزلفنا ثم الآخرين وهو ظرف ...))⁽²⁾.

وفي موضع آخر عند الحديث عن إن الخفيفة يقول ((وقد تقترن بلا النافية نحو " إلاّ تنصروه فقد نصره الله. إلاّ تغزوا يعذبكم...))⁽³⁾ فقد يصعب على القارئ غير المتمكن تمييز نصوص الوحي من غيرها والتفريق بين الشاهدين، وهما متواليان في قوسين معاً، وتجده في مواضع أخرى تجده يقحم ألفاظاً ليست من القرآن في النص المستشهد به، فيقع في التحريف

(1) سورة الأعراف - الآية 182

(2) معجم نحوي لغوي - ص34 و ص14

(3) نفسه ص19 - والآية في سورة الأعراف ، برقم 195

والزلل، كما في حديثه عن أحوال " أم " حيث يقول: ((أن تكون منقطعة ... ونحو " أم لهم أربع أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها")) بإقحام لفظ أربع في الآية. وهو دائما لم يذكر اسم السورة ولا رقم الآية، ولم يعتمد مصحفاً محدداً ولا قراءة بعينها.

ويلاحظ أن الدبس قليل الاستشهاد بالحديث، وإن فعل فلا يسوق إلا ما يخدم وجه الاستشهاد، كقوله عند بيان أوجه "عن" ((الثاني البديل ... وفي الحديث " صومي عن أمك "))⁽¹⁾ و لم يخرج في الهامش الحديث من مصدره، ويبيّن درجته، حتى يطمئن القارئ أنه نص صحيح يعول عليه.
(2)

ولقد حاول المؤلف أن يتبع ديدن المصنفين في الترتيب الألفبائي في معجمه، لكنه يخرج عن هذا الترتيب في جزئيات كثيرة منه، فمثلا تجده تحت عنوان " مختارات " لا يلتزم الترتيب مطلقا ، ويأتي بما اختاره من مادة خبط عشواء مما أفقد الكتاب جمالية التنظيم، وأربك الباحث في البحث عن المسائل، لا سيما أنه ليس به فهرس يمكن العود إليه عند طلب الجزئيات.

ويلاحظ على الدبس أنه لم يتعامل مع الكلمات المبنية من الأسماء والحروف بطريقة خاصة، بحيث يعتبرها وحدات مستقلة يمكن للدارس أن يبحث عن كل منها في ترتيبه الألفبائي، مثل: الضمائر المنفصلة للرفع أو النصب، وأسماء الاستفهام، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والظروف المبنية ونحوهما، فقد خلط بين هذه الكلمات في كثير من المناسبات في كتابه، ثم إنه لم يسلم من الاضطراب المنهجي في التزام الترتيب المنطقي لتسلسل حروف الهجاء الذي حاول انتهاجه، حيث بدأ (حروف المعاني) بحرف الهمزة، ثم بعد الحديث عن الواو وقبل الياء أقحم حرف الألف لينقض التسلسل الألفبائي الذي رتب عليه مادته⁽²⁾

كما أن الكتاب لم يخل من الاضطراب والخلط حتى في تنسيق الحرف الواحد مع بقية الحروف الموالية له، ففي الحديث عن الهمزة وبعد الكلام عن (آ) وقبل تناول مادة (أجل) أقحم الدبس لفظ (أيا) في غير موضعه مفسدا بذلك الترتيب الرتيب الذي حاول السير عليه.⁽³⁾

ولا شك أن من معتاد المعاجم أن تستغرق كل دلالات اللفظ واشتقاقاته ومتعلقاته وما يرتبط به من التقعيد النحوي والصرفي، لتكون تامة النفع، ومن ثم كان على الدبس التوسع في عرض المعلومة، حتى يتم الفائدة ويحصل النفع، فهو غالبا ما يذكر شيئا من متعلقات اللفظ ويهمل

(1) نفسه ص 43 والحديث أخرجه البخاري - باب الخطبة - حديث رقم 4851

(2) معجم نحوي لغوي ص 77

(2) نفسه ص 13

سواه، وقد أُلجأ الاختصار في مواطن عدة إلى الإخلال بمتطلب الفهم ومستلزم الوضوح، من ذلك مثلاً: عند حديثه عن همزة أن التي أوصل اللغويون مواضع فتحها إلى أحد عشر موضعاً، لم يذكر منها سوى خمسة مواضع، وتغاضى عن البقية دون مبرر مقنع ولا سبب وجيه⁽¹⁾

وربما تدعو الحاجة عند تصنيف المعاجم والموسوعات العلمية إلى الاختصار على المهم في بابهِ المفيد في مادته، وحينئذ يعمل المؤلف على اختيار أرجح الآراء فيسوقها مبيّناً دواعي اختياره واختصاره، ويترك المرجوح من الأقوال؛ ليعود من أراد الاستزادة إلى مصنفات أوسع، لكن الدبس انتهج منهج الاختصار المخلّ، ثم إنه لم يكن دقيقاً فيما اختار من الآراء، حيث ينتصر في مواطن عديدة للمرجوح من الأقوال ويترك الأرجح وما عليه عامة العلماء والمحققين، كما هو الحال في سرد أحوال " أم " حيث قال مستشهداً على زيادتها في النص، والصواب أن القول بالزيادة في القرآن الكريم ممتنع على رأي جماهير العلماء من اللغويين والأصوليين والمفسرين: ((الثالث: أن تقع زائدة نحو " أفلا تبصرون أم أنا خير " والتقدير أفلا تبصرون أنا خير...))⁽²⁾ والصواب أنها غير زائدة، بل جيء بها لتقرر معنى بلاغياً يجسّد فناً إعجازياً ومعنى مقترراً، له وقعه على السامع، قال الزمخشري: ((أم هذه متصلة؛ لأنّ المعنى: أفلا تبصرون أم تبصرون، إلّا أنه وضع قوله أنا خَيْرٌ موضع تبصرون؛ لأنهم إذا قالوا له أنت خير فهم عنده بصراء، وهذا من إنزال السبب منزلة المسبب. ويجوز أن تكون منقطعة على " بل أنا خير " والهمزة للتقرير))⁽³⁾ وجاء في الدر المصون أن ((في « أم » أقوالٌ ، أحدها : أنها منقطعةٌ ، فتتقدّر ب بل التي لإضراب الانتقال ، وبالهمزة التي للإنكار . والثاني : أنها بمعنى بل فقط ، والثالث : أنها منقطعةٌ لفظاً ، متصلةٌ معنىً . قال أبو البقاء : « أم هنا منقطعةٌ في اللفظ لوقوع الجملة بعدها في اللفظ ، وهي في المعنى متصلةٌ معادلةٌ؛ إذ المعنى : أنا خيرٌ منه أم لا ، وأيّنا خيرٌ ... الرابع : أنها متصلةٌ ، والمعادِلُ محذوفٌ تقديره : أم تُبصرون . وهذا لا يجوزُ إلّا إذا كانت « لا بعد أم نحو : أتقومُ أم لا ... ونقل عن سيبويه أنّ هذه هي « أم » المعادلةُ أي أم تُبصرون الأمر الذي هو حقيقٌ أن يُبصرَ عنده ، وهو أنّه خيرٌ مِنْ موسى))⁽⁴⁾

وقد يذكر من معاني الألفاظ ما ليس بآكد ولا قطعي، بل وربما ذكر ما ينافي صريح القرآن، الذي هو كتاب الفصاحة والبلاغة والإعجاز، فقد قال في معرض الحديث عن الفرق بين الضّعف والضّعف ((الضّعف بفتح الضاد يكون في العقل والرأي نحو " آفة فلان ضَعْفُ عقله،

(1) نفسه ص 17 ، وانظر إعراب القرآن - محي الدين درويش - دار الإرشاد - حمص - سوريا - 3 / 560

(2) معجم نحوي لغوي ص 19

(3) الكشف - أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري - دار إحياء التراث العربي - بيروت - تحقيق : عبد الرزاق

المهدي - 4 / 260

(4) الدر المصون - السمين الحلبي - تحقيق أحمد الخراط - دار القلم - دمشق - - 1 / 4713

وما أضر بفلان إلاّ ضَعْفُ رأيه " أما الضَّعْفُ بضم الصاد فيكون في البدن نحو " بجسم فلان ضَعْفٌ " ⁽¹⁾ وهذا وجه محتمل، لكنه ليس بقوي، فقد جاء قول تعالى في سورة الروم ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ ⁽²⁾ برواية قالون عن نافع المدني، وكذا ورش عنه، وبرواية حفص عن عاصم وثلاثتها تعدّ أشهر الروايات التي عليها جلّ قرّاء العالم الإسلامي.

وربما دفعه لما قال أن المناوي ذكر كتابه التوقيف هذا الرأي بصيغة التمرّض، إذ قال ((الضعف وهن القوى حسا أو معنى ذكره الحرالي، وقال غيره خلاف القوة، وتكون في النفس وفي البدن، وفي الحال، وقيل بالضم في البدن و بالفتح في العقل والرأي)) ⁽³⁾

ولم يتعرض لمثل هذا التفصيل جلّ المحققين من المعجميين، بل منهم من اكتفى بأن ذكر أن ((الضعف بالفتح والضم نقيض القوة)) ⁽⁴⁾ فكان عليه العود للقرآن للتأكد والاسبصار.

وعند الحديث عن مسوغات الابتداء بالنكرة، كان من الأجدر والأُنفع أن ينوّه إلى أن الفِصل في تسويغ الابتداء بها هو حصول فائدة لغوية أو بلاغية، وقد صرح جمهور العلماء بهذا ((فلم يشترط سيبويه والمتقدّمون لجواز الابتداء بالنكرة إلاّ حصول الفائدة، وقال جمعٌ من المحقّقين كابن هشام والمرادي: أنّ مرجع المسوّغات إلى التّعميم والتّخصيص، ورأى المتأخّرون أنّه ليس كلّ واحدٍ يهندي إلى مواطن الفائدة فتتبعوها فمن مُقلّ مخلّ، ومن مُكثّر موردٍ ما لا يصلح، أو معدّد لأُمور متداخلة. وقد أنهى بعض المتأخّرين ذلك إلى نيّف وثلاثين مسوّغاً؛ والمرجع في كلّ هذه المسوّغات هو حصول الفائدة.)) ⁽⁵⁾ وهذا أمر لم يتطرق إليه الدبس في مصنفه مطلقاً.

وفي حديثه عن الأخطاء الشائعة على ألسن العامة قال: ((يقول كثير من الكتّاب " طرّقنا الزوار صباحاً" وهذا من الخطأ البين؛ لأن الطروق لا يكون إلاّ في الليل...)) وقد جانب الصواب فيما ذكر؛ لأن الطرق أصلاً ضرب الحصى بعضه على بعض ثم يُزجَر به، قال لبيد:

(1) معجم نحوي لغوي ص 122

(2) سورة الروم _ الآية 53 برواية حفص و 54 برواية قالون

(3) التوقيف على مهمات التعاريف - محمد المناوي - دار الفكر المعاصر ، دار الفكر - بيروت ، دمشق - الطبعة الأولى ، 1410 - تحقيق : د. محمد رضوان الداية - ص 473

(4) إكمال الأعلام بتتليث الكلام - محمد بن عبد الله بن مالك الجباني ت 672هـ - تحقيق سعد الغامدي - جامعة أم القرى - 1404هـ 1984م - مكة المكرمة - السعودية 2 / 378، و الصحاح في اللغة - الجوهري - 1 / 41

(5) الملحّة في شرح الملحّة - محمد بن الحسن الصايغ - تحقيق إبراهيم بن سالم الصاعدي - عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة - السعودية - ط الأولى، 1424هـ / 2004م 1 / 148

لَعَمْرُكَ ما تدري الطوارق بالخصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع⁽¹⁾

ثم أطلق الطرق على ضرب الباب عند القدوم على المنازل، فهو لا يختص بوقت معين، وفي الحديث ((... فَقَالَ جِبْرِيلُ فَقُلْ أَعُوذُ بِوَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ وَبِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ اللَّائِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ مِنْ شَرٍّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَشَرٍّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا وَشَرٍّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ وَشَرٍّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمِنْ فِتْنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمِنْ طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ))⁽²⁾

ومن المآخذ على الدبس عدم الرجوع إلى أكبر قدر ممكن من أمهات المصادر اللغوية ، واستخلاص أهم ما فيها من آراء وأفكار، مع إعادة عرضها بأسلوب عصري، ولغة مركزة، وفوق هذا لم يسق أي مصدر من المعاجم في فهرس مصادره الذي ركز فيه على الجرائد وترك معاجم الأقدمين والمعاصرين، وبسبب هذا العزوف عن توظيف تلك المعاجم وقع في عدم تلافي عيوب الأعمال المعجمية السابقة لهذا العمل والاستفادة من تجارب الآخرين، ومن ثم الاستيثاق من أي معلومة ترد فيها قبل إثباتها، والأخذ بمبدأ الشك تجنباً لتثبيت الخطأ من ناحية، وحرصاً على إشاعة مبدأ التحقيق والموضوعية والأمانة بين الدارسين من ناحية أخرى.

ثم إن عزوفه عن المصادر أوقعه في عدم الدقة في الربط بين معاني الألفاظ المترادفة في مثل: " سخط وغضب" ، حيث قال (الفرق بين السخط والغضب أن السخط يكون من الأعلى على من دونه، يقال سخط الملك على الوزير، ولا يقال سخط الوزير على الملك)⁽³⁾ فتقرر عنده أن الغضب يكون من الأدنى إلى الأعلى، ولو كلف نفسه العود إلى معاجم اللغة لما سقط في مثل هذا الإسفاف. ألم يقرأ قول الله تعالى ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَةُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾⁽⁴⁾ ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴾⁽⁵⁾ و ما شابهها من الآيات التي تغند مزاعمه، وأقواله المؤسسة على غير أساس متين .

وأخيراً كان عليه محاولة مواكبة العصر، وملاحقة التطور السريع في وسائل عرض المعلومة وتيسير الحصول عليها، وزيادة في التيسير على مستخدم المعجم أن يلحق به فهارس متنوعة

(1) معجم نحوي لغوي ص 126 ، وانظر : الزاهر في معاني كلمات الناس - ابن الأنباري - تحقيق حاتم صالح

الضامن - مؤسسة الرسالة - بيروت - - 1992م - ط1 - 1/ 343

(2) الموطأ - مالك بن أنس - تحقيق : محمد الأعظمي - مؤسسة زايد بن سلطان - الطبعة : الاولى 1425هـ -

2004م - باب ما يؤمر به من التعوذ - 5/ 1387

(3) معجم نحوي لغوي ص 122

(4) سورة النساء - الآية 102

(5) سورة طه - الآية 81

تساعد على الحصول على المعلومة المطلوبة، حسب رغبة الباحث، لكنه عزف حتى عن وضع فهرس عام للكتاب يمكن القارئ من الوقوف على الجزئيات بسهولة ويسر..

هذه بعض ملحوظات كشاهد فقط وقفت عليها ولم أسق كل ما في الكتاب، إذ الكتاب مليء بالأخطاء المطبعية والمنهجية، ونواحي القصور فيه كثيرة؛ لأنه عمل بشري يحتاج دائماً إلى من يرتق فتوقه، ويصلح هناته، ولعل أحد طلبة العلم يتبنى دراسته و يضيف عليه حلة بهية بالتنقيح والزيادة .

إلى هنا يقف القلم وفي النفس تطلّع إلى المزيد إلى الاستيفاء، لكن مساحة البحث تحول دون ذلك، فأمل في الله أن أكون قد قاربت نوال شيء من توفيقه فيما أردت بيانه، وهو المستعان .

النتائج :

إن أهم ما توصل إليه الباحث أن الدبس رغم ما بذله من جهد وما قدّمه من مادة علمية توصل إليها بالبحث والتنقيب في متون المصنفات وبين فروع اللغة المتنوعة، فإنه قد خالف ما عليه المعاجم العصرية في طريقة تصنيف المادة العلمية، ولو أنه جعل معجمه في أجزاء خصص كلجزء منها لفرع أو عنوان من عنواناته لجاء الكتاب بطريقة أكثر دقة وفائدة وموضوعية، يستفيد منه القراء والباحثون.

كما أن الدبس رغم تسميته للكتاب بالمعجم فإنه يعدّ من المراجع التدريبية في تعليم اللغة وآدابها للمبتئين، بحيث تمثل كادته شواهد تطبيقية على دروس في العربية، ربما ألقاها على رواد قاعة الدرس زمن اشتغاله بالتعليم. وختاماً فإنه كأى عمل بشري له من المحاسن ما له، وعليه من المآخذ الشيء الكثير، ولن يبلغ درجة الكمال المطلق غير **«كِتَابُ أَحْكَمَتِ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ»**(1)

التوصيات:

أوصي بالاهتمام المتزايد بالمعاجم باعتبارها مفاتيح العلوم وأبواب المعارف المتنوعة من خلال إقامة مثل هذا المحفل العلمي الرائد، كما أوصي ببحث الباحثين بالعمل على تقديم الأفضل في بيان معاني ودلالات الألفاظ .

أوصي بتنقيح التراث وحث طلبة العلم على الاطلاع المستمر على المعاجم الحديثة وتنقيحها والاستفادة منها.

(1) سورة هود - الآية 1

قائمة المراجع

- * القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم مصحف المدينة المنورة، ورواية قالون عن نافع مصحف الجاهلية
- إعراب القرآن - محي الدين درويش - دار الإرشاد - حمص - سوريا
- إكمال الإعلام بتتليث الكلام - محمد الجباني - تحقيق سعد الغامدي - جامعة أم القرى - السعودية - 1984م
- تاج العروس - محمد الزبيدي - موقع الوراق - <http://www.alwarraq.com>
- التوقيف على مهمات التعاريف - محمد المناوي - دار الفكر - بيروت - ط1 - 1410 - تحقيق محمد رضوان
- الجامع الصحيح - البخاري - دار ابن كثير - اليمامة - بيروت - تحقيق مصطفى ديب - ط3 - 1987م
- جمهرة اللغة - ابن دريد - المكتبة الشاملة - موقع الوراق - <http://www.alwarraq.com>
- الدر المصون - السمين الحلبي - تحقيق أحمد الخراط - دار القلم - دمشق
- الزاهر في معاني كلمات الناس - ابن الأنباري - تحقيق حاتم الضامن - مؤسسة الرسالة - ط1 - 1992م
- سنن أبي داود - سليمان بن الأشعث السجستاني - دار الكتاب العربي - بيروت -
- الكشف - أبو القاسم محمود الزمخشري - دار إحياء التراث العربي - بيروت - تحقيق عبد الرزاق المهدي
- المعاجم المفهومة لألفاظ القرآن الكريم - الدكتور عبد الرحمن بن محمد الحجيلي - موقع الإسلام - <http://www.al-islam.com>
- المعجم الإعلامي - محمد جمال - دار أسامة للنشر - عمان الأردن - ط1 - 206م
- معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم - إسماعيل عمايره، وعبد الحميد السيد .
- معجم حروف المعاني - محمد حسن - ط1 - 1407 هـ - مؤسسة الرسالة بيروت .
- معجم سكان ليبيا - خليفة التليسي - دار الريان - 1991م
- المعجم السياسي - د. وضاح زيدون - دار أسامة - دار المشرق الثقافي - عمان - الأردن - ط1 - 2006م

- معجم مصطلحات الحرب النفسية - إبراهيم أبو عرقوب - دار مجدلاوي - الأردن - ط1 - 1992م
- المعجم الفلسفي - عبد المنعم الحنفي - دار ابن زيدون - ط1 - 1992م
- المعجم الفلسفي - د. مصطفى حبيبة - دار أسامة للنشر - عمان الأردن - ط1 - 2009م
- معجم علم الاجتماع - د. عبد الهادي الجوهري - المكتب الجامعي - الإسكندرية - 1998م
- معجم العلوم الإنسانية التعليمي - عبد القادر المحيشي وآخرون - منشورات الأكاديمية طرابلس - ط1 - 2003م
- معجم نحوي لغوي - لطفي الدبس - دار وائل - ط1 - 2004م
- المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته - الدكتور أحمد مختار - المكتبة الشاملة - موقع الإسلام - <http://www.al-islam.com> -
- الموسوعة الثقافية للوعي البيئي - مصطفى كمال - إيتراك للنشر والتوزيع - القاهرة - ط1 - 2003م
- موسوعة علم السياسة - د. مصطفى خشيم - الدار الجماهيرية للنشر - ط1 - 1425 هـ -
- الموسوعة الاقتصادية - راشد البراوي - دار النهضة العربية - بيروت - ط1 - 1971م
- [اللمحة في شرح الملح](#) - بن الصايغ - تحقيق إبراهيم الصاعدي - عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة - السعودية - ط1 - 2004م
- الموطأ - مالك بن أنس - تحقيق محمد الأعظمي - مؤسسة زايد بن سلطان - ط1 - 2004م